الأسلوبية و مفهومها

المدرس المساعد : ظاهر محمد مراد
d.mured88@uomustansiriyah.edu.iq

جاء في لسان العرب: "يقال للسطر من النخيل أسلوب، وكل طريق ممتد فهو أسلوب. والأسلوب: الطريق، والوجه، والمذهب، يقال: انتم في أسلوب سوء، ويجمع على أساليب، والأسلوب الطريق تأخذ فيه، والأسلوب الفن. يقال: اخذ فلان في أساليب من القول، أي أفانين منه

هذه المعاني التي نقلناها من ابن منظور قسمان: قسم حسي يمثل الوضع الأسبق لفظ، كسطر النخيل والطريق الممتد أو المسلوك، والأسلوب عليه خطة يسلكها السائر. وقسم معنوي هو الخطوة الثانية في الوضع اللغوي حيث تنقل الكلمة من معانيها الحسية إلى هذه المعاني الأدبية أو النفسية، وذلك هو الفن من القول أو الوجه والمذهب في بعض الأحيان.

على ان هذه المعاني كلها تنتهي بنا عند فكرة إذا أردنا استعمالها في بابا الأدب كانت ملائمة، فالأسلوب هو فن من الكلام يكون قصصا أو حوارا، أو تشبيها، أو مجازا، أو كناية ، أو تقريرا، أو حكما أمثالا، فإذا صح هذا الاستنباط كان للأسلوب معنى أوسع إذ يتجاوز هذا العنصر اللفظي فيشمل الفن الأدبي الذي يتخذه الأديب وسيلة للإقناع أو التأثير. والذي يعنينا هنا أن الأسلوب منذ القدم كان يلحظ في معناه الناحية الشكلية بوجه خاص فهو قد يعني:

- طرائق التعبير التي يسلكها المتكلم أو الأديب لتصوير ما في نفسه بواسطة اللغة

-طريقة في الأداء والتوصيل للتجارب التي تعتمل في نفس المبدع

- طريقة الكتابة أو طريقة الإنشاء أو طريقة اختيار الألفاظ وتأليفها للتعبير بها عن المعاني بقصد الإيضاح والكشف والتأثير والبوح

-طرائق التعبير الخاصة بكل مبدع-

نشأتها

في عام 1875 أطلق فون درجابلنتس مصطلح (الأسلوبية) على دراسة الأسلوب، عبر الانزياحات اللغوية و البلاغية في الكتابة الأدبية، والتي اعتبرها (تفضيلات) خاصة، يؤثرها الكاتب على حد قوله، إذ إن الكاتب في إنشائه يختار عدداً من الكلمات، والصيغ دون غيرها يؤثرها ، ويجدها تعبر عن نفسه ولم تكن (الأسلوبية) وقتها قد اتضحت معالمها، لذلك فقد ارتبطت نشأة الأسلوبية في بداية القرن العشرين بالتطور الذي لحق الدراسات اللسانية على يد عالم اللغة السويسري فرديناند دي سوسيير – أستاذ علم اللغة العام – بجامعة جنيف الذي أسس لأصول الألسنية الحديثة

فقد كانت جهوده اللغوية متاحة أمام أحد طلابه وهو شارل بالي (1865 – 1947) الذي جزم عام 1902 بأن علم الأسلوب قد تأسست قواعده النهائية، وذلك بعد أن أصدر كتابيه (في الأسلوبية الفرنسية)، اللذين يعتبران اللبنة الأولى في صرح الأسلوبية العلمية

فالأسلوبية إذاً- كما يتضح من نشأتها- فن من أفنان شجرة الألسنية، وهي جسر الألسنية إلى تاريخ الأدب، فالألسنية إذا كرست نفسها في خدمة الأدب استحالت أسلوبية، ولذلك فإن الأسلوبية تعد حلقة الوصل بين علم اللغة والدراسة الأدبية للنصوص

ظهرت كلمة (الأسلوبية) خلال القرن التاسع عشر عند الغربيين، ولكن معناها المحدد لم يظهر إلا في أوائل القرن العشرين، وقد أعلن الألماني ستيفن أولمان سنة 1969 استقرار الأسلوبية علماً ألسنياً نقدياً تحيطه المنهجية والموضوعية، وبذلك اعتبر هذا المنهج من أحدث ما أنتجته علوم اللغة في العصر الحديث

الأسلوبية ومفهومها

الأسلوبية مجال من مجالات المعرفة يعرض بالدرس للنصوص الأدبية، محاولاً الالتزام بمنهج موضوعي يحلل على أساسه الأساليب ليكشف عن القيم الجمالية لهذه الأعمال منطلقاً من تحليل الظواهر اللغوية والبلاغية للنص

وفي مطلع القرن العشرين ولد تحت كلمة (الأسلوبية) مفهومان مختلفان هما:

1- دراسة الصلة بين الشكل والفكرة، وخاصة في ميدان الخطابة عند القدماء

2- الطريقة الفردية في الأسلوب أو دراسة النقد الأسلوبي، وهي تتمثل في بحث الصلات التي تربط بين التعبيرات الفردية أو الجماعية

وقد عرف بالي – مؤسس علم الأسلوب -هذا العلم بكونه علماً يعنى بدراسة وقائع التعبير في اللغة المشحونة بالعاطفة، المعبرة عن الحساسية الشعورية، فنجده قد حصر البحث الأسلوبي في الجانب الوجداني للغة وبالتالي في تعبيريتها.

ونجدها عند ريفاتير بأنها (علم يعنى بدراسة الآثار الأدبية دراسة موضوعية، وهي لذلك تعنى بالبحث عن الأسس القارة في إرساء علم الأسلوب خاصا)

وأوضح ريفاتير في كتابه (في الأسلوبية البنوية) الذي صدر عام 1971، أن الأسلوب هو العلامة المميزة للقول، داخل حدود الخطاب، وأن البنية النوعية للنص هي نفسها أسلوبه، فاللغة تعبر، ولكن الأسلوب يبرز، ولذلك يدرس الأسلوب من حيث أثره في المتلقي (السامع أو القارئ) ويلاحظ كثرة تعريفات الأسلوبية في الكتب المختصة بهذا المجال، وهي متباينة من حيث صياغتها ومنطلقاتها ومن تلك التعريفات ما يركز على كون الأسلوبية منهجاً علمياً في دراسة أسلوب النصوص، مما يشير إلى الأصل الذي انبثقت عنه الأسلوبية وهي الألسنية

كما عرفت أيضاً بأنها (دراسة الأسلوب أو طريقة التعبير عن الفكر من خلال اللغة)

وعرفت كذلك بأنها (إدراك الخصائص اللغوية والعلاقات الداخلية للنصوص التي يخرج بها الأسلوب من وظيفته الإخبارية إلى غايات ووظائف تأثيرية وجمالية)

ويمكن تلخيص تلك التعريفات للأسلوبية بصياغة شاملة وهي:

)الأسلوبية علم لغوي مهمته الكشف عن خصائص الأسلوب وظواهره اللغوية ووظائفها الفنية التي تعكس ذات المبدع وتؤثر في المتلقي)

بين البلاغة والأسلوبية

لقد بدأ مع مطلع القرن العشرين اهتمام كبير بعلم اللغة واللسانيات، حيث انتقلت الدراسات اللغوية نقلة نوعية على هذا الصعيد، ثم سرعان ما امتد هذا الاهتمام ليشمل حقل الأدب والإبداع الأدبي، بوصفه نصوصاً ذات بنية لغوية في الأصل

وقد كان من نتائج هذا الاهتمام نشوء علم جديد يبحث في لغة النصوص الأدبية عرف بـ"الأسلوبية"، فأصبح منهجاً ومدخلاً للنصوص الأدبية، لتحديد خصائصها وسماتها الجمالية.

فتعد الأسلوبية من المناهج الحديثة للنقد الأدبي في العصر الحديث، وتمتاز بأنها تقوم على أمور ثابتة مستقاة من علوم البلاغة، والنحو، والصرف

إلا أن هذا العلم الحديث له جذور في تراثنا النقدي والبلاغي ، فقد كانت معظم قضاياه وتصوراته ترجع – في أغلبها – إلى الأسلوب، كما قدم النقد العربي القديم تفكيراً أسلوبياً ناضجاً لم تغب عنه أبرز القضايا التي يثيرها البحث الأسلوبي .